«عَلَى التَّوَالِي»

«رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ ... لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ» (لوقا ١: ٣ و٤).

بقلم: ادي كلور

قال لوقا عن رسالة الإنجيل: «رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا ... أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ» (لوقا ١: ٣). يشير كلامه في مستهل إنجيله إلى كمال رواية الإنجيل التي كتبها، ولكن لنسترجع كلامه هذا ونستخدمه بطريقة تفي بالغرض. لنطبقها بصفة خاصة على محاكمات يسوع. لا نستطيع ترتيب الأحداث التي سبقت النطق بالحكم على يسوع بالموت إلا عندما نضع معاً سجلات إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا. نتيجة لذلك، عند الإجابة على السؤال القائل: «ماذا حدث حقاً أثناء المحاكمة؟»، يمكن وضع القائمة التقديرية التالية للأحداث:

(١) بعد القبض على يسوع في بستان جثسيماني أخذوه مباشرة إلى حنان رئيس الكهنة. سأل رئيس الكهنة المتقاعد هذا يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه (يوحنا ١٨: ١٩-٢٤). أجابه يسوع بانه كان يتكلم علانية عما علمه وفعله. أحد العسكر الذين كانوا هناك لطم يسوع على فمه. لا بد أن حنان كان أحد القادة في هذه المحاولة السرية لقتل يسوع. لا بد أن قيادته في هذا الجزء من المحاكمة كانت أحد الأسباب التي من أجلها أُخِذَ يسوع إليه أولاً.

(٢) بعد ما اتخذ حنان قراراً بخصوص يسوع وما يجب أن يفعل به، أرسله إلى قيافا (يوحنا ١٨: ٢٤). قام رئيس الكهنة هذا في الساعات المبكرة من الصباح وجمع أعضاء السنهدريم بقدر المستطاع إلى بيته. وأثناء التحقيق استحلف قيافا يسوع بأن يقول لهم إن كان هو المسيح ابن الله أم لا. أجاب يسوع بانه هو (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤). في نهاية هذا التحري من قبل قيافا، تم الاستهزاء بيسوع بوحشية (مرقس ١٤: ٦٣-٦٥). هذه أول مرة يتم فيها الاستهزاء بيسوع خلال محاكماته.

(٣) كان بطرس يجلس أحياناً ويتحرك أحياناً أخرى في فناء الدار عندما أنكر الرب ثلاث مرات (متى ٢٦: ٦٩-٧٥). أخذ يسوع إلى السنهدريم بعد ما أنكره بطرس للمرة الثالثة مباشرة. ذلك هو الوقت الذي إلتفت فيه ونظر إلى بطرس (لوقا ٢٢: ٦١). أتى مظهر وجه يسوع بتوبة عظيمة في قلب بطرس، فخرج وبكى بكاءً مراً.

(٤) بعد لقاء قيافا مع يسوع دعى إلى عقد اجتماع السنهدريم في الصباح التالي (أنظر مرقس ١٥: ١). وفي هذا الاجتماع وضع السنهدريم دعوى لتقديمها لبيلاطس.

(٥) أخذ رؤساء الكهنة يسوع إلى بيلاطس والي اليهودية والسامرة. كان على بيلاطس بصفته ممثل روما أن يوافق على قرار السنهدريم قبول الصلب (متى ٢٧: ١). لقد كان في مشكلة مع روما، لهذا كان عليه أن يتعامل مع اليهود بطريقة دبلوماسية. أُدْخِل يسوع إلى دار الولاية؛ أما اليهود فلم يدخلوا، لأن دخول بيت إنسان أممي ينجسهم بحسب الطقوس الدينية ويمنعهم من أكل الفصح لاحقاً في مساء ذلك اليوم (يوحنا ١٨: ٢٨).

(٦) خرج بيلاطس إلى اليهود ليسمع دعواهم (يوحنا ١٨: ٢٩-٣٢). وإذ ارتبك بما سمعه رجع إلى دار الولاية واستجوب يسوع بنفسه (يوحنا ١٨: ٣٣-٣٨). كانت تلك أول مرة يلتقي فيها مع يسوع وجهاً لوجه. سأله بيلاطس: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» (يوحنا ١٨: ٣٣). أجابه يسوع قائلاً: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ...» (آية ٣٦).

(٧) خرج بيلاطس مرة أخرى إلى اليهود وأعلن انه لم يجد في يسوع عِلَّةً وَاحِدَةً. فأصر رؤساء الكهنة انه ينبغي أن يُصْلَب (يوحنا ١٨: ٣٨).

(٨) في حوالي ذلك الوقت، أخذ يهوذا الثلاثين من

الفضة التي كانت ثمن خيانته ليسوع وإلقاها في الهيكل (متى ٢٧: ٣). لقد اقتنع بان يسوع سَيُدان. بعد ما رد لليهود الثلاثين من الفضة خرج وانتحر. لقد ندم بدلاً من أن يتوب.

(٩) إذ كان بيلاطس لم يدري ماذا يفعل، تذكر أن هيرودس كان موجود في المدينة (لوقا ٢٣: ٦-١١). فأرسل إليه يسوع ظاناً انه قد يجد حلاً لهذا المأزق. أما يسوع فصمت ولم يتكلم أمام هيرودس. عند نهاية هذا اللقاء أُسْتُهْزِأ بيسوع مرة أخرى (لوقا ٢٣: ١١)، وكان ذلك ثاني مشهد للاستهزاء.

(١٠) أُرْسِل يسوع مرة أخرى إلى بيلاطس (لوقا ٢٣: ١١). كانت الحالة تزداد سوءاً كل دقيقة. عرف بيلاطس انه كان يواجه حالة صعبة.

(١١) قرر بيلاطس أن ينتهز عادة الإفراج عن سجين ما في زمان عيد الفصح، ووضع بجانب يسوع مجرم مشهور اسمه باراباس وطلب من اليهود أن يقرروا أي منهما يجب الإفراج عنه (متى ٢٧: ١٥-١٨). فصاح الجمع أن يُطْلَق لهم باراباس.

(١٢) جلس بيلاطس على كرسي الولاية واستعد أن يصدر اعلاناً. ولكن وصلته فجأة مذكرة من زوجته. كانت قد حلمت حلماً مزعجاً في الليلة السابقة عن إنسان اسمه يسوع، وعلى ضوء هذا، طلبت من زوجها أن لا يمسه (متى ٢٧: ١٩).

(١٣) طلب بيلاطس أن يؤتى إليه بالماء ومغسلة، غسل يديه قدام الشعب قائلاً انه بريء من دم هذا الإنسان (متى ٢٧: ٢٤).

(١٤) لا بد أن بيلاطس أرسل يسوع خارجاً هذه اللحظة لكي يُضرب بالسياط (متى ٢٧: ٢٦؛ يوحنا ١٩: ١). ربما ظن أن مثل هذا الفعل يجعل اليهود يسترخون ويهدؤون أعصابهم لأنهم قد يعتبرون هذا الضرب بالسياط كتمهيد للصلب. ربما فكر بيلاطس بانه قد يستخدم الضرب بالسياط ليحصل على شفقة الناس فيطلق سراح يسوع. ظل يفعل كل هذا قناعة منه ان يسوع بريئا.

(١٥) بعد ضرب يسوع بالسياط وضعه بيلاطس قدام الجمع وقال: «هُوَذَا الإِنْسَانُ!» (يوحنا ١٩: ٥). ورد رؤساء الكهنة قائلين: «لِيُصْلَبْ!» (متى ٢٧: ٢٣).

قال بيلاطس: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ، لأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً» (يوحنا ١٩: ٦). أجابه رؤساء الكهنة قائلين: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ الله» (يوحنا ١٩: ٧).

(١٦) أزعج هذا الكلام بيلاطس؛ فأخذ إليه يسوع واستجوبه مرة أخرى (يوحنا ١٩: ٩-١١). سأله قائلاً: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟»، وسأله أيضاً: «أأنت ابن الله؟» أما يسوع فلم يعطيه جواباً.

(١٧) أرجع بيلاطس بيسوع وأوقفه قدام الجمع محاولاً مرة أخرى اطلاق سراحه، ولكن الشعب صرخ قائلاً: «إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!» (يوحنا ١٩: ١٢). وقعت هذه الكلمات في أذني بيلاطس كتمرد على روما، فلم يستطع التفكير بما وراءها.

(١٨) إذ جلس بيلاطس الوالي على كرسي الولاية في موضع يقال له «البلاط» وأوقف يسوع أمام الشعب مرة أخرى. ثم أشار بيده وقال: «هُوَذَا مَلِكُكُمْ!». فصرخ الشعب: «خُذْهُ! خُذْهُ! اصْلِبْهُ! ... لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرَ!» (يوحنا ١٩: ١٤ و١٥).

(١٩) وأخيراً استسلم بيلاطس، إذ أصبح مرتبكاً تماماً ومتحيراً ومغلوباً على أمره من قبل اليهود، أسلم يسوع لمشيئتهم (يوحنا ١٩: ١٦).

❖-❖-❖-❖-❖

«فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُصْلَبَ. فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ» (يوحنا ١٩: ١٦)؛ «فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ. فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ، الَّذِي طَلَبُوهُ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ» (لوقا ٢٣: ٢٤ و٢٥)؛ «فَبِيلاَطُسُ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ لِلْجَمْعِ مَا يُرْضِيهِمْ، أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ، بَعْدَمَا جَلَدَهُ، لِيُصْلَبَ» (مرقس ١٥: ١٥)؛ «حِينَئِذٍ أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ» (متى ٢٧: ٢٦).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩